

ومن حلل المحظور من غير شبهة عن النفس والأموال كفره تُرشد^(١)

(١) كذلك من نواقض الإسلام تحليل المحرم، المجمع على تحريمه أو ما كان تحريمه معلوماً بالضرورة من دين الإسلام مثل تحريم الخمر وتحريم الربا وتحريم الميتة وتحريم الزنا وتحريم السرقة هذه معلوم من الدين بالضرورة أنها محرمة، فالذي يستحلها يكون كافراً بالله عز وجل، لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، إلا إذا تناولها عند الضرورة، إذا اضطر الإنسان إلى الحرام فإنه يُباح له بقدر الضرورة، قال جل وعلا: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، من اضطر إلى أكل الميتة أبيع له ذلك بقدر ما يدفع عنه الهلاك، كذلك إذا اضطر إلى مال الغير، فلا بأس أن يأكل ما يبقي عليه حياته، ولو لم يأذن له صاحبه.

وإذا كان من يستحل الحرام له شبهة فإنه يُبين له أن هذه

وإن كان بالتأويل منه استحله فلا كفر حتى يستبين بمرشد^(١)

الشبهة باطلة ويُدرأ عنه التكفير حتى يُبين له، فإن أصر بعد البيان فإنه يُحكم بكفره، مثال ذلك الذين شربوا الخمر في عهد عمر رضي الله عنه، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣]، فهموا أن التقي المؤمن المحسن أنه يُباح له شرب الخمر، من ظاهر اللفظ، ولم يعلموا أن الآية نزلت في الذين ماتوا وهم يشربون الخمر قبل أن تُحرم وتأسف عليهم أقاربهم، أنهم ماتوا وهم يشربون الخمر، خافوا عليهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ يعني فيما مضى قبل أن تُحرم، الله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿وَمَا كُنَّا لَنُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

(١) إذا كان له تأويل وله شبهة لها وجه احتمال، مثل الآية

ومن أكل الخنزير أو نحوها فلا تُكفره يا هذا بأكل مجرد^(١)
ومن أظهر الإسلام والكفر باطن فذلك زنديق متى تاب فاردد^(٢)

الكريمة: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولكن خطأ في الفهم، فهذه شبهة يبين له ويوضح له.

(١) إن استحل الخنزير فإنه يُحكم بكفره، أما إن أكلها من غير استحلال هذا لا يكفر ولكنه يُعزر؛ لأنه أكل حراماً فيُعزر.
(٢) هذا بيان للذين لا تُقبل توبتهم، يعني أنه لا يُدرأ عنهم الحد بل يُقتلون بكل حال، أولهم: الزنديق الذي يظهر الإسلام ويُطن الكفر، ويُقال لهم في الزمان الأول المنافقون الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، هؤلاء زنادقة، إذا ثبت عليهم ذلك يُقتلون، ولا يُستتابون؛ لأنهم لا يصدقون في توبتهم، يظهرون التوبة وهم على ما هم عليهم.

فإذا قلت: لماذا الرسول ﷺ لم يقتل المنافقين في عهده؟
فيقال: إن الرسول كان يدرأ مفاصد؛ لأن المنافقين كان لهم

كذا حكم من قد كفره بسحره ومتى يتكرر كفره بعد أن هدي^(١)

قبائل، وكان لهم أقارب، فلو قتلهم فإنه يحصل فتنة، فلهذا لما قيل له: ألا تقتل ابن أبي؟ قال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(١).

(١) الثاني من الذين لا تُقبل توبتهم، الساحر إذا ثبت أنه ساحر بإقراره أو بالبينة عليه فإنه يجب قتله بكل حال ولا يُستتاب؛ لأنه مثل الزنديق يظهر التوبة ويخدع الناس وهو باق على سحره، فيقتل بكل حال لإراحة المجتمع من شره.

الثالث ممن لا تُقبل توبتهم بإسقاط الحد عنهم، من تكررت ردة فإنه لا يُستتاب، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، حديث رقم (٣٥١٨).

ومن سب رب الخلق أو مرسله فقتل أولاء احتتم بغير تردد^(١)
وعن أحمد أقبل توبة الجمع إن يُرى لك الصلح كالكفر الأصلي تهتد^(٢)

لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ [النساء: ١٣٧]، فمن
تكررت رده فهذا يعتبر مستهتراً بالدين مستخفاً بالدين فلا تُقبل
توبته إذا تكررت.

(١) الرابع ممن لا تُقبل توبتهم: من سب الله أو سب
الرسول ﷺ أو سب أي نبي من الأنبياء، فإنه يقتل ولا يُستتاب؛
لأنه من المفسدين في الأرض المستهزين بالله ورسله، فإذا ثبت
عليه ذلك فإنه يجب قتله حماية للتوحيد والعقيدة من العبث.

(١) هذه الرواية الثانية عن أحمد أن هؤلاء تُقبل توبتهم،
لأن الذي يتوب من الكفر يُقبل توبته، فتُقبل توبة المرتد؛ لأنه
كافر تاب فتُقبل، ولكن فيه فرق بين الكافر الأصلي وبين المرتد،
الكافر الأصلي باق على كفره من الأصل، وأما المرتد فإنه
متلاعب بالدين آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر، ففيه فرق بين الكافر
الأصلي والكافر المرتد.

الأذان وصلاة النافلة وقراءة القرآن وصلاة الجمعة^(١)

ومثل المؤذن قل إذا ما سمعته وحوقل إذا جعل ثياب وترشد^(٢)

(١) الأذان: هو الإعلام بدخول الوقت بالألفاظ والأذكار المعروفة، وهي خمس عشرة جملة، بالتكبير والشهادتين والحيعلتين والتكبير والتهليل، مع تكرير التكبير في أول الأذان أربع مرات، وفي آخره مرتين، وتكرير الشهادتين مرتين مرتين، وتكرير الحيعلتين مرتين مرتين، وأما لا إله إلا الله فهي مرة واحدة، فهذه خمس عشرة جملة، هي الأذان الثابت عن رسول الله ﷺ الذي أذن به بين يديه واستمر إلى أن مات عليه الصلاة والسلام.

فهو للإعلام بدخول الوقت لحضور الصلاة في المساجد، وهو شعيرة من شعائر الإسلام الظاهرة، إذا امتنع منه أهل بلد أو أهل قرية أو قبيلة فإنهم يُقاتلون؛ لأنهم تركوا شعيرة ظاهرة من شعائر الإسلام، كان النبي ﷺ إذا غزا قوما تسمع لهم فإن سمع الأذان كف عنهم، وإلا هجم عليهم، فالأذان شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام الظاهرة.

(٢) يُستحب لمن سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول: وهذا

وعند فراغ منه فاسأل وسيلة لخير الورى تؤتى الشفاعة في غد^(١)
وبعد النداء قبل الإقامة فادعون يُجاب الدعاء في ذا بغير تردد^(٢)

ما يُسمى متابعة المؤذن إلا في الحيعلتين: حي على الصلاة حي على الفلاح، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. ولا يقول مثل المؤذن، وقد جاء أن من سمع المؤذن فقال مثل ما يقول؛ ثم صلى على محمد ثم قال: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته. أنه تحل شفاعته الرسول ﷺ^(١).

(١) والوسيلة: قصر في الجنة، لا ينبغي أن يكون إلا لرسول أو لعبد صالح، فتسأل الله لمحمد ﷺ الوسيلة أي هذا المنزل في الجنة، والفائدة راجعة إليك؛ لأنه تحل لك بذلك شفاعته الرسول ﷺ، ومن شفع له الرسول ﷺ فإنه يسعد سعادة لا شقاوة بعدها.
(٢) يُستحب الدعاء بين الأذان والإقامة لقوله ﷺ: «لا يُرد

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، حديث رقم (٦١٤).

ومن خيره أن تسأل العفو يا فتى وعافية دنيا وأخرى ألا أجهد^(١)
وفضل أذان المرء يعلو إمامة وقد قيل ذا بالعكس فاختر وجود^(٢)

الدعاء بين الأذان والإقامة^(١)، فهذا وقت لإجابة الدعاء، ولكن الناس صاروا يقرءون القرآن في هذه الفترة بين الأذان والإقامة، وهذا شيء طيب، القرآن أفضل الذكر، ولكن الدعاء في هذا الوقت أفضل من قراءة القرآن؛ لأن الذكر المؤقت في وقته أفضل من الذكر المطلق، وقراءة القرآن ليس لها وقت محدد، أما هذا فوقه محدد ويفوت، فكونك تشتغل بالذكر والدعاء بين الأذان والإقامة أفضل من تلاوة القرآن.

(١) من الدعاء المشروع بين الأذان والإقامة أن تسأل الله العفو والعافية وتسأله من أنواع الخير وما يسر الله لك من الأدعية وتجتهد في ذلك؛ لأنها فرصة عظيمة.

(٢) هذه مسألة خلافية، هل الإمامة أفضل من الأذان، أو

(١) رواه الترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الله الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، حديث رقم (٢١٢)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، حديث رقم (٥٢١).

وأفضل نفل المرء ليلاً بيته **قم تلو نصف مثل داود فأسجد^(١)**

الأذان أفضل من الإمامة اختلف العلماء في ذلك، فبعضهم يرى أن الأذان أفضل من الإمامة، وبعضهم يرى العكس أن الإمامة أفضل من الأذان؛ لأن الرسول ﷺ كان هو الإمام، والخلفاء كانوا هم الأئمة فدل على أن الإمامة أفضل، ولكن نظراً للأحاديث الواردة في فضل الأذان رجح بعض العلماء أنه أفضل من الإمامة، وكان عمر يقول: «لولا الخلافة لأذنت» هذا دليل على أن الأذان أفضل^(١).

(١) أفضل صلاة النافلة قيام الليل، والنافلة مستحبة في الليل والنهار ما عدا أوقات النهي، فالجبال مفتوح لمن يريد أن يتنفل بالصلاة، وصلاة الليل أفضل من صلاة النهار، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقوله ﷺ:

(١) تحفة الأحوذى ١/ ٥٢٣، الإنصاف للمرداوي ١/ ٢٤٢، المجموع ٣/ ٨٤، مواهب الجليل ١/ ٤٢٢، شرح فتح القدير ١/ ٢٥٥، حلية العلماء ٢/ ٣٢، الوسيط ٢/ ٥٦.

«أفضل صلاة المرء بعد المكتوبة صلاة الليل»^(١) صلاة الليل أفضل من صلاة النهار، لأن صلاة الليل تنقطع فيها الشواغل ويتفرغ الإنسان ويصفو له الوقت، فيحضر قلبه في صلاته وتلاوته للقرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل: ٦]، والناشئة: هي القيام بعد النوم، يعني تنام أول الليل ثم تقوم تصلي ما تيسر لك، تكون أخذت حظك من الراحة فتقوم نشيطاً وحاضر الفكر والبال، ويكون تدبر القرآن في هذه الحالة أحضر من حالة أخرى، ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ أي مواظبة للقلب واللسان، هذا فيه فضل صلاة الليل، والأفضل من صلاة الليل ما كان في الثلث الأوسط، وهو وقت صلاة داود عليه الصلاة والسلام، قال ﷺ: «أفضل الصلاة صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»^(٢) هذا قيام داود عليه الصلاة والسلام، يصادف جوف الليل، ويصادف النزول الإلهي، فيجتمع فيه فضيلتان.

(١) رواه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، حديث رقم (١١٦٣).
(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب من نام عند السحر، حديث رقم (١١٣١).

ولا تخلين الليل من ورد طائع بحزبك تسلو فيه سرّاً تجود^(١)
وإن شئت فاجهر فيه ما لم تخف أذى لإبعاد شيطان وإيقاظ رقد^(٢)

(١) لا تضع قيام الليل ولو كان قليلاً، الذي ينام كل الليل ولا يصلي من الليل شيئاً، هذا خاسر، فلا تضع قيام الليل، ولو قياماً يسيراً تُداوم عليه، «فأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»، فاجعل لك نصيباً من قيام الليل، وحزباً من القرآن تقرأه في صلاة الليل لتنال هذا الثواب العظيم، وهذا الأجر الكبير.

قراءة القرآن في صلاة الليل هل هي سر أو جهر؟ هذا يتبع الأحوال، فإن كان إذا جهر يشوش على غيره أو يوقظ نائمين حوله فلا يجهر، هذا الإسرار في حقه أفضل، أما إذا كان لا يترتب على جهره محذور، فإن الجهر أفضل.

(٢) الجهر يطرد الشيطان، ولكن إذا كان يترتب عليه أذية للناس، إما النائمين أو المصلين فإنك لا تجهر، وهذا يُنبهنا إلى ما يفعله كثير من الأئمة الآن في الميكروفونات حيث يرفعون أصواتهم خارج المسجد، ويشوشون على البيوت التي فيها ناس

وخذ قدر طوق النفس لا تسأمنه وقل تستعن بالنوم عند التهجد^(١)

مرضى أو نساء يصلون، أو فيها ناس نائمون ومرضى، فهذا لا يُثابون عليه، بل ربما أنهم يأثمون، فلو كان الصوت داخل المسجد بقدر ما يُسمع المصلين، كان هذا هو المطلوب، أما خارج المسجد فهذا يترتب عليه ما يترتب من الأذى، فلا داعي إلى أن الصلاة تذاع خارج المسجد لا داعي لهذا أبداً، يقولون: من أجل أن الكسالى يأتون ويتنبهون. ونقول: بل هذا يُكسل الناس ويحدث العكس، الكسلان يتأخر؛ فلو أنه لم يسمع القراءة لبادر إلى الصلاة، ولكن إذا سمع القراءة تكاسل زيادة، فأنت أعطيت الكسلان إمداداً يمدد فيه عدم حضوره فلا فائدة من خروج أصوات قراءة القرآن في الصلاة عن المساجد، بل فيه ضرر كبير وأيضاً يُشجع الكسالى على التأخر، وربما يداخله رياء وسمعة من الإمام.

(١) يقول: لا تطول الصلاة بالليل، وتثقل الصلاة بالليل في بعض الليالي، ثم بعد ذلك تُهمل وتترك، اعتدل في صلاتك بحيث

تستمر، أما إذا شققت على نفسك فأنتك تعجز وتترك قيام الليل، فالأحسن الاعتدال والاقتصاد في العبادة، والنبي ﷺ يقول: «أنا أصلي وأنام»^(١)، فالمشقة على النفس سبب لترك العمل فعليك بالاعتدال، الشيء الذي لا يشق على نفسك ولا تملة فاعمله، والرسول ﷺ يقول: «إن الله لا يمل حتى تملوا»^(٢) فإذا مللت فأنت الذي حرمت نفسك فعليك بالاعتدال، «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

وقوله: «وقل تستعن بالنوم عند التهجد» هذا إشارة ما يعينك على قيام الليل، يعينك على قيام الليل القيلولة بالنهار، «قل» يعني ثم في القيلولة فإنها تُعينك على قيام الليل، ثانياً: ثم مبكراً في أول الليل، كما كان النبي ﷺ ينام مبكراً، ويكره الحديث بعد صلاة العشاء، وينام مبكراً من أجل القيام، فمن أسباب القيام أن تنام مبكراً.

(١) رواه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه... حديث رقم (١٤٠١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه، حديث رقم (٤٣).

فإن لم تصل فاذكر الله جاهداً وتب واستقل مما جنيت وسدد^(١)
فلا خير في عبد نؤوم إلى الضحى أما يستحي مولاً رقيقاً بمرصد^(٢)

(١) إذا كنت لا تقوم من الليل، فعلى الأقل اشتغل بالذكر في الليل، بالتسبيح والتهليل والاستغفار وذكر الله عز وجل.

(٢) الذي ينام كل الليل حرم نفسه ولا خير فيه، «إلى

الضحى» يعني إلى طلوع الفجر، هذا فاته خير كثير، والله جل

وعلا يقول: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا لَأَسْفَارٍ هُمْ يَسْتَفْرِوْنَ ﴿١٨﴾﴾

[الذاريات: ١٧-١٨]، ويقول جل وعلا: ﴿وَالْمُسْتَفْرِيتِ بِالْأَسْفَارِ ﴿١٧﴾﴾

[آل عمران: ١٧]، وفي آخر الليل ينزل الرب سبحانه وتعالى إلى السماء

الدنيا كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول: «هل من

سائل فأعطيه، هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر

له» فأنت تحضر هذا الفضل العظيم وقت النزول الإلهي، تستغفر

تسأل الله وتدعو الله عز وجل، أنت بحاجة إلى هذا، لا تحرم

نفسك، بل كن حاضراً في آخر الليل، مع الذين قال الله فيهم:

﴿وَالْمُسْتَفْرِيتِ بِالْأَسْفَارِ ﴿١٧﴾﴾، ﴿وَيَا لَأَسْفَارٍ هُمْ يَسْتَفْرِوْنَ ﴿١٨﴾﴾

يُنَادِيهِ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطِ سَوْلَهُ وَمُسْتَغْفِرُ يُغْفَرُ لَهُ وَيُؤَيِّدُ^(١)

ومعنى: «أما يستحي مولاً رقيقاً بمرصد» أما تستحي من الله عز وجل أنت تنام كل الليل ولا تقوم لله عز وجل ولو بقليل من الليل، وقد أنعم الله عليك وعافاك وأمنك وفرغك أيضاً من الأشغال، فلماذا لا تشكر الله عز وجل على هذه النعمة وتستغل هذه الفرص العظيمة من عمرك، فالإنسان إذا ما اجتهد في وقت شبابه ونشاطه فإنه يعجز في شيخوخته وكبره ومرضه، فيبادر الإنسان شبابه وقوته قبل أن يعجز في آخر حياته، وآخر عمره. كما في الحديث: «اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك»^(١).

(١) ينادي سبحانه وقت النزول الإلهي: «هل من سائل، هل من تائب، هل من داع»، هو يناديك وأنت نائم، فكر في نفسك، أما تستحي من الله أنه يناديك ويدعوك وأنت نائم معرض عن الله عز وجل.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٤١/٤)، حديث رقم (٧٨٤٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٧/٧)، حديث رقم (٣٤٣١٩).

وفي السبع فاختتم فهو أولى ولا تزدد على الثالث في يوم تصب سنة احمد^(١)

(١) السنة أن الإنسان كما أرشد النبي ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه يختم القرآن لعشر، يعني كل ليلة يقرأ ثلاثة أجزاء، هذا هو الأحسن، وهذا يدعوك إلى الاستمرار، ثلاثة أجزاء كل ليلة، تختمه في عشرة أيام، فإن كان عندك زيادة رغبة وقوة ففي كل سبع ليالي. فإن كان عندك زيادة قوة ففي كل ثلاث. يعني تقرأ في الليلة عشرة أجزاء، هذا إذا كان عندك قوة ورغبة، وقد حدد النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو هذه التحديدات، قال: «صل في كل عشر، في كل سبع، في كل ثلاث» قال عبد الله بن عمرو: «أنا أطيق أفضل من ذلك» قال ﷺ: «لا أفضل من ذلك»^(١)، تحزيب القرآن ثلاثة أحزاب في كل ليلة عشرة أجزاء، لا أفضل من ذلك، إن زاد عن العشرة فهذا مشقة، ويعجز ويميل. حتى إن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال في آخر حياته: «يا ليتني قبلت مشورة رسول الله ﷺ».

(١) رواء مسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر... حديث رقم (١١٥٩).

فإن قليلاً مع تدبر قارئ أبر فلا تهذ كشعر وتسرد^(١)
ولا تقرأن إما أمت خلاف ما عليه أهل ذاك العصر ثقل وتبعد^(٢)

(١) الحزب القليل من القرآن مع الترتيل والتدبر، أحسن من الحزب الكثير مع الهذ، والسرعة، وعدم التدبر. «فلا تهذ كشعر وتسرد» لا تهذ القرآن هذا كهذ الشعر، وتسرد يعني تسرع في القرآن فإنه يفوتك التدبر ويفوتك التأثير بالقرآن.

(٢) إذا كنت إماماً للناس فإنك تُراعي أحوال المأمومين، تخفف عليهم ولا تشق عليهم أما إذا صليت وحدك فإنك تطول ما شئت، كما قال ﷺ: «أيكم أمّ الناس فليخفف فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة، فإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء»^(١) الإمام لا يحمل الناس على رغبته هو؛ وعلى اجتهاده هو، بل يراعي أحوال المأمومين ولو كان هو يحب أكثر من هذا فيراعي أحوال المأمومين، هذا أفضل له من أنه هو يتبع اجتهاد نفسه أو رأي نفسه

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، حديث رقم (٧٠٣).

ويرى أن هذا أفضل، نعم التطويل أفضل إذا لم يترتب عليه مضرة، أما إذا ترتب عليه مضرة فلا يكون أفضل، ولهذا كان النبي ﷺ إذا أم الناس يخفف وإذا صلى لنفسه يطيل عليه الصلاة والسلام، قرأ البقرة والنساء وآل عمران في ركعتين، قرأ خمسة أجزاء وزيادة في ركعتين؛ لأنه كان يصلي وحده، وقام معه حذيفة فعجز عن متابعته ﷺ، وقال: «هممت أن أقعد»^(١)، فهذا هو هدي الرسول ﷺ أن الإنسان إذا صلى بالناس يراعي أحوال المأمومين، ولا يشق عليهم ولا ينفرهم قال ﷺ: «إن منكم لمنفرين»^(٢)، «أفتان أنت يا معاذ»^(٣)، لا يشق على الناس، بل يراعي الأحوال، هذا هو السنة بل هذا هو الواجب، كذلك لا يحرم الناس من الأجر والخير فيخفف الصلاة التخفيف المخل، ويحرم الناس الطمأنينة في الصلاة، بعض الناس يتبع اجتهاداته

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب طول القيام في صلاة الليل، حديث رقم (١١٣٥) من رواية عبد الله بن مسعود.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام... حديث رقم (٧٠٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب من شك إمامه إذا طول، حديث رقم (٧٠٥).

في رمضان ولا يصلي صلاة التهجد في العشر الأواخر ويقول: تكفي التراويح. أو يكفي صلاة التهجد ويترك التراويح، إما أنه يترك التراويح في أول الليل وإما أنه يترك التهجد في آخر الليل فيحرم الناس، إذا كنت لا تصلي بهم التراويح والتهجد، أترك الإمامة، لا تحرم الناس وتنزلهم على رأيك ورغبتك، وتأثم بهذا؛ لأنك محمل أمانة هذا المسجد وهؤلاء الجماعة، فإذا حرمتهم من الصلاة فإنك تأثم وإذا شققت عليهم وطولت عليهم تأثم، فعليك بالاعتدال، تصلي في العشر الأواخر أول الليل، وتصلي من آخر الليل تخفيفاً على الناس، وأيضاً يكون هذا اغتناماً لفضل العشر الأواخر واغتناماً للتهجد في آخر الليل، العشر لها مزية، اجتهد الرسول ﷺ في العشر الأواخر أكثر من غيرها^(١)، وكان ﷺ إذا دخلت العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله^(٢)، وفي رواية لم يذق غمضاً، فالعشر الأواخر لها قيمة عظيمة، وفيها ليلة

(١) رواه مسلم في كتاب الاعتكاف، في باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، حديث رقم (١١٧٥).

(٢) رواه مسلم في الموضع السابق، حديث رقم (١١٧٤).

القدر أرجى ما تكون، فلا تفوت على الناس هذا الفضل العظيم،
وإذا جاء رمضان صار جدل عند هؤلاء يتجادلون ويقول بعضهم
لبعض أنت مبتدع، أنت كذا، وبعضهم يغلقون المساجد، يصلي
الفريضة والتراويح ويغلق المسجد بعدها، هذا يجب أنه يُبعد عن
الإمامة، وبعضهم يصلي أول الشهر ويهرب آخر الشهر ليأتي
بالعمرة، أنت تركت الواجب الذي هو الإمامة التي أنت مؤتمن
عليها وموظف فيها، وتذهب إلى سنة.

يقول الناظم:

«ولا تقرأن إما أمت خلاف ما * عليه أهل ذاك العصر تقل وتبعد»
السلف الصالح كان يتهجّدون بالليل في المساجد ويقومون
على العصي من طول القيام، وكانوا يربطون الحبال بين السواري
ويتعلقون بها من طول القيام؛ لأن عندهم رغبة في الخير، وكانوا
لا ينصرفون إلا عند الفجر عندما ينحشون فوات الفلاح وهو
السحور، يستغلون الوقت، أما نحن في هذا الوقت فمجرد جدال
وخصام والمساجد مغلقة والأئمة هنا وهناك، والمشروع أن تسمع
المؤمن القرآن كله في صلاة التراويح وصلاة التهجد، والآن صار

وحمة جانب والكسائي حرفه فكلتاها مكروهة في المؤكد^(١)

بعض أئمة المساجد لا يختم القرآن في رمضان، وبعضهم يحتسب قراءته في الفرائض وخارج الصلاة ليختم بذلك القرآن؛ وكل هذه مخالفات.

(١) هذا مأخوذ من قول الأصحاب: «كره أحد قراءة حمزة والكسائي والإدغام الكبير لأبي عمرو»، يعني أقرب شيء قراءة حفص، وهي التي يقرأ بها غالب المسلمين في بقاع الأرض. فقله:

«ولا تقرأن إماماً خلافاً ما عليه أهل ذلك العصر تقل وتبعد»
لا تأتي بالقراءات، تقرأ بقراءة فلان، وبقراءة فلان وتنوع، التنوع هذا لا يصلح، بل تمشي على قراءة إمام واحد تكون معتادة في البلد ولا تشوش على الناس، ربما أن بعض الناس لا يعرفون القراءات فينكرون قراءة صحيحة بسببك أنت؛ لأنك أتيت لهم بشيء لا يعرفونه، فإذا كان الناس يعرفون قراءة ورش

ويكره أن يقرأ بالحن كالفنا وإن غيرت حرفاً فحرم وشلد^(١)

فاقرأ بها، وإذا كانوا يقرءون قراءة حفص فاقرأ بها، تقرأ بما يقرأ به أهل البلد، لا تخالفهم وتشوش على الناس، ليت الأئمة يلاحظون هذه الأمور، وهذه الآداب.

(١) القراءة بالألحان حرام؛ لأنها تُخرج القرآن عن القراءة إلى الألحان والأغاني، وذلك بالتمطيط الزائد والمد الزائد، كما عليه كثير من القراء في الإذاعات الآن، إلا المصاحف المرتلة فإنها جيدة، أما الذين يسمونه المصحف المجود فإن قراءتهم فيها غالبها فيه تكلف، ولا يجوز إسماع الناس هذه الأمور، والقرآن لم يُنزل لأجل التطريب، وإنما نزل لأجل العلم والعمل، فلا يُتخذ حرفة للتكسب في الحفلات، ومثل ما يعمل بعض القراء يتخذون القراءة حرفة يتكسبون بها، وليتهم يقرءون قراءة معقولة، وإنما يقرءون بالتمطيط والألحان والمد الزائد والأصوات المزعجة والتكلف الذي يظهر عليهم حينما يقرءون، من شحوب اللون وجحوظ العينين، وأشياء إذا نظرت إليها عرفت أن هذا تكلف،

وكيف تشا فاقراً بلا حدث على وبالطهر أولى وأكره الموضع الردي^(١)

الله لم يأمر بهذا، والقرآن ميسر، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]، أما هذا التكلف، وهذا التطريب فهذا لا يجوز، وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان يتخذ الناس القرآن أغاني، ويقدمون من يقرأ لأجل أن يطرب أسماعهم فقط.

فقلوه: «وإن غيرت حرفاً فحرم وشدد» ويعني إن كان القراءة بالتلحين تُغير الحروف فهذه حرام شديد؛ لأنه تغيير للقرآن.

(١) يجوز للإنسان أن يقرأ القرآن على أي حال سواء كان ماشياً أو مضطجعاً، أو جالساً على أي حال؛ لأن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن في جميع الأحوال، ولا يحبس عنه قراءة القرآن إلا الجنابة، يقرأه قائماً وقاعداً، وماشياً وراكباً، وتجوز القراءة عن ظهر قلب لمن كان عليه حدث أصغر ولو كان غير متوضئ، أما بالمصحف فيشترط لِمَسِّ المصحف الوضوء، وأما الحدث الأكبر

ويحرم إبدال الكلام بآية تفيد الذي خاطبته نيل مقصد^(١)
ويكره بعد الأربعين تأخر لحتم بلا عذر على نص أحمد^(٢)

فلا يقرأ سواء كان عن ظهر قلب أو من المصحف؛ لأن النبي ﷺ إذا كان جنباً لا يقرأ القرآن^(١).

(١) لا يجوز أن يُتخذ القرآن للتخاطب بين الناس، فإذا سألك أحد فلا تجبه بآية من القرآن، أو إذا أردت شيئاً من أحد فلا تأت بدل الكلام المعروف بآية من القرآن؛ لأن هذا امتهان للقرآن فلا تجعل القرآن بدل التخاطب، بل القرآن للتلاوة والعمل.

(٢) سبق أن الأفضل تحزيب القرآن أنه يكون إما لعشرة أيام كل يوم ثلاثة أجزاء، وإما لسبعة أيام، وإما لثلاثة أيام، أو على الأقل يختمه في كل أربعين يوماً مرة.

(١) رواه الترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في الرجل يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً، حديث رقم (١٤٦)، وأبو داود في كتاب الطهارة، في الجنب يقرأ القرآن، حديث رقم (٢٢٩).

وإن خاف من نسيانه احظر وسنة بأول ليل في الشتاء الختم يا عدي^(١)

(١) أما إذا خشي نسيان القرآن فإنه يحرم عليه أنه يتعدى الأربعين، وإن كان لا يُخشى نسيانه فيكره أنه يتعدى الأربعين في ختمه، لأن القرآن يحتاج إلى تعاهد وقد حث النبي ﷺ على تعاهد القرآن، وأخبر أنه يتفلت من الإنسان كالإبل في عقلها^(١).

ويستحب أنه يدعو عند الختم؛ لأن هذا من مواطن الإجابة فيدعو عند ختم القرآن، فإن كان في الشتاء فيُستحب أن يختم في أول الليل؛ لأن ليل الشتاء طويل فتصلي عليه الملائكة إلى أن يُصبح، وفي الصيف بالعكس يختم في أول النهار؛ لأن نهار الصيف أطول من ليل الصيف، فتصلي عليه الملائكة حتى يُمسي، ويُستحب لمن حضر الختم التأمين على الدعاء، كان الصحابة يفعلون هذا كان يدعو بعضهم بعضاً لحضور ختم القرآن وحضور الدعاء؛ لأن هذا من مواطن الإجابة.

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن ... حديث رقم (٧٩١).

وفي الصيف فاعكس ثم تجميع أهله لدى الختم محبوب ويدعو ويحمد^(١)
ويُشرع للشكر السجود لطاهر لدفع شر أو لفضل مجدد^(٢)

(١) اجتماع المسلمين عند ختم القرآن، وحضور الختم، وحضور الدعاء والتأمين على الدعاء مستحب؛ لأن هذا من مواطن الإجابة، يبدأ الدعاء بحمد الله والثناء على الله؛ لأن هذا من أسباب الإجابة.

(٢) سجود الشكر سنة، وذلك عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة، فإذا تجدد للإنسان نعمة كأن ولد له ولد، أو المسلمون انتصروا على الكفار في الجهاد، كما سجد أبو بكر رضي الله عنه لما بُشر بقتل مسيلمة الكذاب في حرب اليمامة، هذا عند اندفاع النعمة، وعند تجدد النعمة، أما النعمة المستمرة فلا يُشرع السجود لها؛ لأنه لو كان يسجد لكل النعم، صار الإنسان يبقى ساجداً؛ لأن النعم لا تزال، ولكن المقصود النعم المتجددة إما الخاصة بالإنسان أو العامة للمسلمين كالنصر على الأعداء أو اندفاع

وصل إن ترم أمراً صلاة استخارة وإن بعد بالمأثور تدع تسدد^(١)

العدو أو غير ذلك. ويُشرع لسجود الشكر أن يكون على طهارة؛ لأنه عبادة.

(١) صلاة الاستخارة، سنة إذا هممت بأمر، يعني ترددت فيه مثل زواج أو سفر، ولم يتبين لك ويترجح عندك أحد الأمرين؛ إما الماضي وإما الترك، فإنك تصلي صلاة الاستخارة ركعتين، ثم بعد السلام تدعو بالدعاء الوارد: «اللهم إنني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا تقدر، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويُسميه - خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فيسره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويُسميه - شراً لي، فأصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيثما كان ثم رضني به» فيدعو بهذا الدعاء بعد السلام من الركعتين.

وما عرضت من حاجة صل وإتهل فكم مرسل قد جاء في ذا ومسند^(١)
على سنة بين العشاءين حافظن وصل بتسيح كما جاء محمد^(٢)

(١) هذا نوع آخر من أنواع الصلوات المستحبة، وهو صلاة الحاجة، إذا احتجت إلى شيء مهم وهو ليس عندك، فإنك تصلي ركعتين وتسال الله حاجتك، جاء في هذا أحاديث منها مرسل ومسند، والمرسل: هو ما رواه التابعي عن الرسول ﷺ، والمسند: ما اتصل سنده بالرسول ﷺ، يقول: جاءت أحاديث مسندة ومرسلة في صلاة الحاجة.

(٢) كذلك من الصلوات المستحبة الصلاة بين العشاءين، وقد جاء أن صلاة بين العشاءين صلاة الأوابين، فيستحب الصلاة بين العشاءين، ومهما أكثر من الصلاة فهو أفضل، يعني لو استغرق ما بين المغرب إلى صلاة العشاء يكون هذا أحسن وأطيب وهو من صلاة الليل، وإلا يصلي ما تيسر بين العشاءين؛ لأن هذا وقت تتأكد فيه الصلاة، وهي سنة، مستحبة. وقوله « وصل

ويكره قطع النفل من غير حاجة وعن أحمد حرم كفرض مؤكد^(١)

بتسييح الظاهر أنه يقصد صلاة التسابيح التي وردت في حديث، ولكنه غير صحيح، تكلم عليه الأئمة بالطعن في سنده، ولا يصلح للاستدلال، فالراجع أن صلاة التسييح غير مشروعة، وأنها بدعة، وإن كان يرى بعض العلماء مشروعيتها، ولكن الصحيح أنها بدعة؛ لأنه لم يصح بها دليل. وهي أيضاً فيها مخالفة للصلوات المشروعة، في صورتها ويكرر فيها قراءة الفاتحة، ويقرأ القرآن في الركوع، ويقرأ في السجود، فصورتها مخالفة للصلاة المشروعة، فهي شاذة من ناحية السند ومن ناحية المتن، فالصحيح أنها بدعة وأنها غير مشروعة.

(١) من دخل في فرض فلا يجوز له قطعه، إلا في مسألة الضرورة، كإنقاذ معصوم من هلكة، أو تحذير ضرير يعني أعمى من الوقوع في حفرة أو في بئر، فيجوز أن تقطع الصلاة من أجل إنقاذ الشخص من الهلكة، وأما فيما عدا ذلك فلا يجوز قطع الفريضة، وأما النافلة فيكره قطعها كراهة تنزيه ولا يحرم كما هو

المذهب، تنزيهه، وفي رواية أخرى في المذهب أيضاً أنه يحرم لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُطْلَوْا أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، والنفل إذا شرع فيه الإنسان وجب عليه إتمامه، لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقوله: ﴿فَمَنْ فُضِّحَ فِيهِ الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، يعني أحرم، فإذا أحرم به صار فرضاً، وإن كان قبل الإحرام نافلة، فالصحيح أنه لا يجوز قطع النافلة أيضاً، إذا دخل فيها الإنسان فإنه يكملها، إلا صيام النفل يجوز قطعه؛ لأنه جاء الحديث بذلك، وأن النبي ﷺ قطع صيام النفل^(١)، وإذا دخل في نافلة ثم أقيمت الصلاة؛ قالوا: يتمها خفيفة إلا أن يخشى فوات الجماعة فيقطعها، وقيل: يقطعها مطلقاً لقول النبي ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»^(٢).

(١) المجموع ٤/ ١٨٠، أحكام القرآن للجصاص ١/ ٢٩٠، فتح الباري ٤/ ٢١٣، تحفة الأحوذى ٣/ ٣٥٨، شرح الزرقاني ٢/ ٢٥٣، الفروع ٣/ ٩٩، المجموع ٦/ ٤٢٠ بدائع الصنائع ١/ ٢٩٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن، حديث رقم (٧١٠).

وبادر إلى عمو الذنوب بركعتي متاب كما قد جاء وادع تسدد^(١)
وإن عماد الدين إخلاص نية وإلا تولى بالعنا صافر اليد^(٢)

(١) كذلك ذكر أن من الصلوات المستحبة صلاة التوبة، أن الإنسان يصلي ركعتين ويتوب إلى الله عز وجل من الذنب أو من الذنوب، وإذا تاب بدون صلاة واستغفر فيكفي هذا.

(٢) لما ذكر الصلوات الفرائض والنوافل بين أنه لا يُقبل منها ومن سائر الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجه الله عز وجل، فجميع الأعمال لا تُقبل إلا بالإخلاص، أما ما لم يكن خالصاً فإنه لا يُقبل، فالذي يدخله رياء أو سمعة أو شرك أكبر أو دعاء لغير الله فإنه يبطل ولا يُقبل، فمن شرط قبول العمل الإخلاص لله عز وجل، ومن شرطه أيضاً المتابعة للرسول ﷺ، فيُشترط للقبول شرطان:

الأول: الإخلاص لله، فلا يكون فيه شرك، لا أكبر ولا أصغر.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ، فلا يكون فيه بدعة؛

وإياك عن سبق الإمام فإنه مخالسة الشيطان عند التعبد^(١)

لأن البدعة مردودة ولا تُقبل. وهي تعب بلا فائدة، ويرجع صافر اليد، ليس له أجر عند الله عز وجل، ولو أتعب نفسه، إذا خلا العمل من هذين الشرطين.

(١) «إياك» هذا تحذير من مسابقة الإمام، إذا كنت تصلي خلف الإمام فإياك المسابقة للإمام أن تركع قبله، أو تسجد قبله، أو ترفع قبله، لقوله ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَلَا تَكْبُرُوا حَتَّى يُكْبِرَ، إِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَلَا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ، وَإِذَا قَال: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ..»^(١) إلى آخر الحديث، وقال ﷺ: «إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ»^(٢) فالأُمُوم

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، حديث رقم (٦٨٨)،

وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الإمام يصلي من قعود، حديث رقم (٦٠٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، حديث رقم (٤٢٦).

سعى في التواني ثم لما عصيته تدارك سعياً في فنون التفسد^(١)

تكون أفعاله بعد أفعال الإمام، فيحرم مسابقته للإمام، وقد جاء الوعيد في الذي يرفع رأسه قبل الإمام، أن يحول الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار^(١)، وهذا وعيد شديد، فالمسابقة حرام وقد تبطل الصلاة.

وسبب المسابقة هو وسوسة الشيطان، هو الذي يدخل عليك، ويحملك على مسابقة الإمام لأجل أن يُفسد عليك صلاتك، وإلا فأنت لا تخرج من الصلاة إلا بعد الإمام فكيف تسابقه، ولكن الشيطان يأتي على الإنسان ويحمله على المسابقة.

(١) هذا الشيطان مع الإنسان، أولاً أنه يشبث الإنسان عن العمل ويحاول منعه عن العمل، فإذا عصاه المسلم وجاء إلى العمل فإنه يلجأ إلى إفساد العمل، كإفساد الصلاة بالمسابقة والأفكار، وبغفلة القلب عن ذكر الله عز وجل، فالشيطان يحاول أولاً أنه

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام حديث رقم (٤٢٧).

وفي الخمس ألزم في الأصح الرجال بالجماعة لا عبداً وشرطاً بأوكد^(١)

يمنعك من العمل، فإذا لم يستطع منعك لجأ إلى الإفساد فيدخل عليك في صلاتك، ويشوش عليك صلاتك، ولا تدري ما تقول، ولا تدري ما يقول الإمام، ويفتح عليك أبواب الهواجس والأشغال، حتى تخرج بدون أجر، هذا عمل الشيطان مع الإنسان.

(١) الصلوات الخمس تجب على الرجال في الجماعة، ولا يجوز للإنسان أن يصلي وحده من غير عذر، لما ورد من الأحاديث التي تدل على الوعيد في حق من ترك صلاة الجماعة وصلى وحده، وتدل على نقصان أجره نقصاناً ظاهراً، والذي يصلي مع الجماعة له سبع وعشرون درجة، والذي يصلي وحده ليس له إلا درجة واحدة، فرق عظيم من حيث الأجر، وورد أيضاً الوعيد على تارك صلاة الجماعة ووصفه بالنفاق قال ﷺ: «أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء وصلاة

الفجر»^(١)، قال الله في المنافقين ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُفْقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [التوبة: ٥٤]، وهم النبي ﷺ بتحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة، وقال عليه الصلاة والسلام: «من سمع النداء فلم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر»، قيل للراوي: وما العذر؟ قال: «خوف أو مرض»^(٢)، وقد أوجب الله صلاة الجماعة في حالة الخوف، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ [النساء: ١٠٢] يعني في حالة الخوف، ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ... ﴾ [النساء: ١٠٢]، إلى آخر الآية، فإذا وجبت في حالة الخوف ففي حالة الأمن من باب أولى، فصلاة الجماعة واجبة على الأصح من قولي العلماء، وهو الذي تدل عليه الأدلة،

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، حديث رقم (٦٥٧).

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، حديث رقم (٧٩٣)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، حديث رقم (٥٥١).

بل إن بعض العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن صلاة الجماعة شرط لا تصح الصلاة بدونها مع الاستطاعة، لقوله ﷺ: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له، إلا من عذر» هذا دليل على أنها شرط لصحة الصلاة، وأنه لو صلى وحده من دون عذر فصلاته غير صحيحة، فالخطر في إهمال صلاة الجماعة شديد جداً، وهذا في الصلوات الخمس والجمعة كما يأتي، أما النوافل فلا يُشترط لها الجماعة ولا تجب الجماعة لها، وإنما تُستحب في صلاة الكسوف، وفي صلاة الاستسقاء، وصلاة التراويح، هذه تستحب لها الجماعة وليست واجبة، أما الفريضة فصلاة الجماعة واجبة أو شرط. وأما الذين يقولون: إنها سنة. فقولهم مرجوح، والأدلة تدل على أن الراجح بل الأصح وجوب صلاة الجماعة للرجال.

أما النساء، فلا تجب عليهن الجماعة، لقوله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن»^(١)، وصلاة المرأة في بيتها

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل... حديث رقم (٩٠٠)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، حديث رقم (٥٦٧).

وليس بمكروه صلاة العجائز الجماعة معنا بل لذات التراد^(١)
ونذب دعاء المرء خلف صلاته بما شاء للدنيا وللدين فاجهد^(٢)

أفضل من صلاتها مع الجماعة، وكذلك العبد المملوك لا تجب عليه صلاة الجماعة؛ لأن وقته لسيده، فهو يصلي في مكانه، ولأجل أن يقوم بالعمل الموكل إليه، فالمرأة والعبد لا تجب عليهما صلاة الجماعة.

(١) صلاة النساء في الجماعة فيها تفصيل: المرأة الشابة التي يُخشى منها الفتنة الأفضل أنها لا تصلي مع الجماعة، أما المرأة الكبيرة التي ليس منها فتنة والمحتشمة فيباح لها صلاة الجماعة.

(٢) بعد انتهاء الصلاة يُستحب الدعاء، في دبر الصلاة، ودبر الصلاة يختلف العلماء فيه، هل هو آخر الصلاة أو بعد الصلاة على قولين، ولكن الأفضل الدعاء في صلب العبادة، وعلى أثر العبادة أيضاً، هذا الدعاء مظنة الإجابة، المهم أنك تجتهد في الدعاء قبل السلام وبعد السلام من الفريضة، ولكن لا ترفع

وإياك والتفريط في جمعة بها قد اختص رب العرش أمة أحمد^(١)

يديك مثل ما يفعل بعض الجهال في رفع اليدين بعد الفريضة لأنه بدعة، إنما تدعو بدون رفع يديك، أما رفع اليدين في الدعاء بعد النافلة فلا بأس.

(١) من هنا إلى آخر الباب كله في صلاة الجمعة وآدابها، وصلاة الجمعة صلاة عظيمة خص الله بها هذه الأمة من بين الأمم كما ورد في الأحاديث، والله جل وعلا جعل للأمم يوماً يتفرغون فيه للعبادة والصلاة، فاختار اليهود يوم السبت، واختار النصارى يوم الأحد، ولذلك اليهود يعطلون يوم السبت، والنصارى يعطلون يوم الأحد؛ لأنه وقت صلاتهم، وجاء الله بهذه الأمة واختار لها يوم الجمعة؛ لأنه اليوم الذي تجمعت فيه الفضائل، فيه خلق آدم، وفيه أخرج من الجنة، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة الإجابة، فهو يوم عظيم، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، فاكتمل الخلق يوم الجمعة.

ففي يومها يُعطى المزيد لفائز فينظره من غير كيف فقيد^(١)

ويوم السبت ليس فيه خلق، ولذلك اليهود عليهم لعنة الله اختاروه ويقولون: إن الله استراح فيه بعد التعب فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ن: ٣٨]، ﴿مِنْ لُغُوبٍ﴾ يعني من تعب كما تقوله اليهود، فهم اختاروا يوم السبت؛ لأنه بزعمهم أن الله استراح فيه بعد التعب تعالى الله عما يقولون. والنصارى اختاروا يوم الأحد؛ لأنه بداية الأيام التي بدأ الخلق فيها، والله اختار لهذه الأمة يوم الجمعة الذي هو سيد الأيام، وأفضل الأيام، ولذلك يقول ﷺ: «ما حسدونا على شيء مثل ما حسدونا على يوم الجمعة الذي هدانا الله إليه وأضلهم عنه»^(١) فهم يحسدون هذه الأمة على يوم الجمعة، وهو يوم عظيم.

(١) الجمعة هو يوم المزيد لأهل الجنة، والذي يجتمعون فيه

(١) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (٢٤٥٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٦/٢)، حديث رقم (٢٢٧١).

وفي تركها من غير عذر ثلاثة يُرَان على قلب الغفول المبعد^(١)
ويُشرع غُسل يومها عند قصدها وطيب وتنظيف ولبس المجدد^(٢)

ويزورون الرب ويروونه سبحانه وتعالى، ويكون أقربهم إلى الرب
في يوم المزيد أقربهم إلى الإمام في صلاة الجمعة.

(١) «من ترك ثلاث جمع تهاوناً فإنه يختم الله على قلبه» كما
جاء في الحديث^(١)، وقال ﷺ: «لينتهين أقوام عن ودعهم
الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونون من
الغافلين»^(٢) فإذا ترك ثلاث جمع متهاوناً ختم الله على قلبه، فبعد
ذلك لا يقبل الحق ولا يقبل الهدى، ولا يصل إليه نور.
(٢) الجمعة لها آداب:

أولاً: الاغتسال عندما يذهب للصلاة ليتجمل، ويزيل
الروائح والعرق ويتنظف، ثم يلبس أحسن ثيابه، ثم يتطيب ثم

(١) رواه الترمذي في كتاب الجمعة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، حديث
رقم (٥٠٠).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، حديث رقم (٨٦٥).

وتبكير ماش مدن لإمامه يُصلي ويكثر من فنون التعبد^(١)

يبكر إلى الجمعة ويمشي ولا يركب، ويدنو من الإمام ولا يفرق بين الناس، ولا يتخطى الرقاب، كل هذه من آداب الجمعة، ولا يتكلم والإمام يخطب إلا إذا احتاج إلى سؤال الإمام أو كلمه الإمام فلا بأس، أما أنه يتكلم مع من بجانبه أو مع من دخل فهذا يبطل ثوابه ويصبح لا جمعة له.

(١) كذلك من سنن الجمعة التبكير، قال ﷺ: «من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة»^(١) وما الفرق بين البدنة والبيضة؟ الفرق بعيد.

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، حديث رقم (٨٨١).

ويدعو ويقرأ سورة الكهف كثيراً صلاة على خير الأنام محمد^(١)

(١) كذلك من سنن يوم الجمعة قراءة سورة الكهف في يومها، جاء في هذا أحاديث، وإن كانت ليست بالقوية ولكن يعضد بعضها بعضاً، وكان الصحابة يعملون هذا، يقرءون سورة الكهف في يوم الجمعة.

ومن فضائل يوم الجمعة، الدعاء؛ لأن «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله وهو قائم يصلي إلا أعطاه الله ما سأل»^(١) ولقد أخفى الله هذه الساعة في سائر اليوم، فلا يُدرى في أي ساعة من اليوم، فيجتهد في الدعاء في كل اليوم، لأجل أن يصادف ساعة الإجابة، كما أن ليلة القدر أخفاها الله في رمضان من أجل أن يجتهد في كل الشهر بالعبادة فيكون مدركاً لليلة القدر، ومدركاً لقيام رمضان كله، وكذلك هنا يكون مدركاً لساعة الإجابة ومدركاً الدعاء في يوم الجمعة، وهذا فضل عظيم، وأرجى ما تكون

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، حديث رقم (٩٣٥).

ولا يتخطى الناس إلا إمامهم ورآء مكاناً خالياً في المؤكد^(١)

عند الإمام أحمد آخر ساعة من اليوم، وعند آخرين أنها من حين يدخل الإمام إلى أن تُقضى الصلاة، وذكروا فيها أقوالاً كثيرة^(٢).

كذلك من آداب يوم الجمعة الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ في ليلة الجمعة ويوم الجمعة، هذا من حقوقه علينا عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال ﷺ: «من صلى عليّ واحدة، صلى الله عليه بها عشرة»^(٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»^(٣).

(١) ولا يتخطى رقاب الناس، أي لا يتخطى الصفوف إلا

(١) فتح الباري ٢/ ٤١٦، الديباج على صحيح مسلم ٢/ ٤٣٦، تحفة الأحوذى ٢/ ٥٠٣،

شرح الزرقاني ١/ ٣٢٤، المغني ٢/ ١٠٣، إغاثة الطالبين ٢/ ٩٠، المجموع ٤/ ٤٦٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، حديث رقم (٤٠٨).

(٣) رواه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، حديث رقم (٢٠٤٢).

في مسألتين:

المسألة الأولى: أن يكون هو الإمام وليس له طريق إلى المنبر إلا بتخطي الصفوف.

المسألة الثانية: إذا رأى فرجة لم تُسد فيتخطى إليها ليسدها. أما ما عدا ذلك فلا يجوز تخطي الرقاب. وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة وهو يخطب فقال: «أجلس فقد آذيت وآنيت»^(١).

(١) رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في النهي عن تخطي الناس يوم الجمعة، حديث رقم (١١١٥)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، حديث رقم (١١١٨).

الزكاة والصوم وما يتعلق بهما من الأحكام^(١)

(١) بعد أن انتهى الناظم رحمه الله من الصلاة وأحكامها وما يتعلق بها انتقل إلى بقية أركان الإسلام، وهي الزكاة والصوم وما يتعلق بهما، ثم الحج وما يتعلق به، هذه العبادات هي أركان الإسلام بعد الشهادتين، والزكاة في اللغة: معناها الطهارة والنماء والبركة، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكََّهَا﴾ [الشمس: ٩]، يعني طهر نفسه من الذنوب والمعاصي، وهي تنمي المال قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وأما الزكاة في الشرع فهي: مقدار معلوم من المال يصرف في مصارف خاصة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، إلى آخر الآية، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ [النساء: ٧٨]، [المعارج: ٢٤-٢٥]، ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [النساء: ٧٩]، وهي قرينة الصلاة في القرآن، ولذلك من جحد وجوبها كفر، ومن منعها بخلاً ولم يجحد وجوبها فإنها

وخذ علم أحكام الزكاة نظيرة الصلاة بآيات الكتاب الممجّد^(١)

تؤخذ منه قهراً ويؤدب، وإن كان معه شوكة ومعه قوة فإنه يُقاتل،
كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مانعي الزكاة،
وقال: «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»^(١). فهي حق واجب
في أموال الأغنياء للفقراء.

والصيام: لغة الإمساك، وشرعاً: هو الإمساك بنية عن
المفطرات الظاهرة والباطنة من طلوع الفجر الثاني إلى غروب
الشمس، وهو ركن من أركان الإسلام.

(١) الزكاة نظيرة الصلاة يعني أنها قرينة الصلاة في آيات
كثيرة من القرآن، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]،
﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النوبة: ٧١]، فهي قرينة الصلاة في
الذكر مما يدل على أهميتها في الإسلام.

(١) رواه البخاري في كتاب استئابة المرتدين.. باب قتل من أبى قبول الفرائض... حديث رقم
(٦٩٢٤).

- وحسبك في تفضيلها نفع غيره بقهر هوى وسواسه لم يُردد^(١)
 وفرقة ما تهوى امتثالاً بيلها يفك الفتى سبعين لحي مفند^(٢)
 وأد زكاة المال حياً مطيباً ولا تترك للشامتين وحسد^(٣)

(١) وحسبك من فضلها أنها تنفع المحتاجين، فهي مواساة لهم وتطهر النفس من الشح والبخل فهذا من فضائل الزكاة ففيها منفعة للغير، ومنفعة للنفس، منفعة للمحتاجين ومنفعة للمزكين. والمال محبوب إلى النفوس، وتهواه النفوس فإذا دفعه طاعة لله، مع حبه له ومع هواه له فهذا دليل على إيمانه.

(٢) كونك تخالف هواك، وتخرج المال مع محبتك له، هذا دليل على الإيمان وتفك بإخراجها سبعين لحي من الشح والطمع والبخل وغير ذلك، فلا تخرج إلا من إنسان مؤمن يؤثر طاعة ربه على هوى نفسه، ويخرج أغلى ما عنده وهو المال، طيبة من نفسه.

(٣) فليكن إخراجك للزكاة عن طيب نفس لا كره وتلكاً فيه، بل يكون ذلك منك عن طيب نفس وانقياد، أما إن كان إخراجك لها مع الكراهة، ومع المن فإن هذا يُبطل الصدقة، قال

ويُشرع في قرباك من ليس وارثاً على قدر حاجات وقرب ليمدد^(١)

تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ ءِالْمَنِ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فأنت ليس لك فضل على هذا المحتاج بل هذا فضل من الله عليك أنه رزقك وجعلك تتصدق، وتنفع المحتاجين فهذا فضل من الله عليك، ثم هي ليست تبرعاً تبرع به إن شئت فعلته، وإن شئت لم تفعله، بل هي فرض عليك وركن من أركان الإسلام. ما دمت حياً تصدق وأخرج الواجبات قبل أن تموت ويكون مالك لغيرك ممن قد يكون شامئاً لك، ومبغضاً لك في حياتك، فالمال لا يستقر لأحد وإنما هو ينتقل من يد إلى يد، من وارث إلى مورث، وقد ينتقل إلى من يبغضونك ويشتمون بك ويدعون عليك وهم أعداؤك، فما دمت على قيد الحياة فبادر بالإنفاق، وقدم لنفسك، ولا تؤخر المال لمن لا يحمذك.

(١) أولى من تعطي الزكاة أقاربك المحتاجين لقوله ﷺ لأبي

ومن يعلمهم ذا العلم والجار قدم من وراعي ذوي الحاجات والستر ترشد^(١)

طلحة: «أرى أن تجعلها في الأقربين»^(١)، ولقوله ﷺ: «الصدقة على الفقير المحتاج صدقة وصلة»^(٢) ففيها أجران أجر الصدقة وأجر الصلة، ولكن أعطها الأقارب الذين لا تجب نفقتهم عليك من ذوي أرحامك، ومن أنت محجوب عن ميراثهم، وهم محتاجون فهم أولى من الأجانب، ابدأ بالأقارب المحتاجين قبل الأجانب.

أدناك أدناك، فهم أولى ببرك وصدقتك من غيرهم، بشرط أن لا تكون وارثاً لهم، فإن كان ليس فيهم من يحجبك عن ميراثهم لو ماتوا، فإنه لا يجوز إعطاؤك لهم، لأنها تجب نفقتهم عليك، فلا تجعل الزكاة وقاية لمالك.

(١) بعد القرابة من المحتاجين تعطي طلبة العلم المحتاجين؛

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، حديث رقم (١٤٦١).

(٢) بمعناه رواه النسائي في كتاب الزكاة، باب الصدقة على الأقارب، حديث رقم (٢٥٨٢)، وابن

ماجة في كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة، حديث رقم (١٨٤٤).

وليس بمجز دفعها لشريك ولا من يعولن من قريب ومبعد^(١)

لأن في هذا إعانة لهم على طلب العلم، ولأنهم يدخلون في المجاهدين في سبيل الله؛ لأن طلب العلم من الجهاد في سبيل الله، وإذا كان جارك محتاجاً فقيراً فأعطه زكاة مالك قبل غيره، لفقره ولحق الجوار، ثم بعد الجار تعطي المحتاج المتعفف، المستر الذي لا يسأل الناس فتعطيه قبل الذي يسأل، قال جل وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]. هؤلاء أولى من غيرهم، فالفقير المستر الذي لا يسأل أولى من غيره.

(١) ولا يجوز دفع الزكاة للذي أنت وإياه شركاء؛ لأن هذا معناه الترغيب له في الشركة معك فأنت تعطيه من أجل أن يبقى على مشاركتك ويعينك على أعمالك، الزكاة لا ينظر فيها إلى النفع الدنيوي العائد على المزكي، وهو النفع العاجل.